

دولة الإمارات العربية المتحدة،

يرتبط مستوى النجاح الدراسي بالوضع المالي للأهل. كانت تلك هي النتيجة الأولية لورقة البحث التي تم نشرها في سبتمبر، وأظهرت أن الإماراتيين من شريحة الدخل المنخفض يتأخرون بشكل كبير عن أقرانهم الأثرياء من جهة المستوى في الرياضيات والعلوم والقراءة. وأشارت الدراسة إلى أن أسوأ المتأثرين هم الذكور الأقل دخلاً، واقترحت توجيه استثمارات لدعم هؤلاء ومنح تسريهم خارج النظام المدرسي.

صدرت هذه الدراسة عن مؤسسة الشيخ سعود بن صقر القاسمي لبحوث السياسة العامة، وهي مؤسسة بحثية مقرها رأس الخيمة، ورسالتها دعم التقدم الموجه بالأدلة على مستوى الإمارة والدولة.

وتعتمد هذه المؤسسة نهجاً مؤلفاً من شقين: أولهما هو العمل لتقديم أبحاث حديثة عن مسائل السياسة العامة ذات الأهمية بالنسبة للتنمية في إمارة رأس الخيمة، وغالباً بالتعاون مع باحثين وجامعات وشركاء خارجيين. ثم يتم استنباط النتائج للمساعدة في اقتراح وتوجيه القرارات المتعلقة بالسياسات والتخطيط، والانتقال من البحث إلى العمل من أجل المصلحة العامة.

وتوضح ناتاشا ريدج، المديرية التنفيذية للمؤسسة قائلة: "هدفنا هو مساعدة الإمارات على الوصول إلى أقصى قدراتها التنافسية. ولذلك فإن التحدي الرئيسي يكمن في وضع نتائج هذه الأبحاث في أيدي صناع القرار كي يتم التصرف على أساسها".

تطمح الخطط الوطنية في دولة الإمارات لتحويلها إلى مركز عالمي للأعمال والابتكار بحلول العام 2021، مدعومةً باقتصاد قوي ومتنوع يأخذ بزمامه قادة إماراتيون لامعون. وتقول ناتاشا: "إن تحقيق ذلك يتطلب إعادة ضبط النظام المدرسي كي يستطيع توليد المواهب التي يحتاجها مثل هذا الاقتصاد. وكان ذلك من غايات إطلاق المؤسسة في العام 2009 من قبل الشيخ سعود بن صقر آل القاسمي، حاكم رأس الخيمة.

وتوضح ناتاشا قائلة: "إن التزامنا الرئيسي هو تحسين جودة التعليم، وخاصة في المدارس الحكومية. ففي التصنيف العالمي، سجلت دولة الإمارات تقيماً أدنى من متوسط منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في مواضيع العلوم والقراءة والرياضيات. بينما يطمح سمو حاكم رأس الخيمة إلى تحسين قدرات الطلاب الإماراتيين حتى يتمكنوا من تولي مناصب قيادية في المستقبل من خلال التعليم الجيد والتطوير الكامل لإمكاناتهم".

في

أفعال تقودها الأبحاث

الدكتورة ناتاشا ريدج هي المديرية التنفيذية لمؤسسة الشيخ سعود بن صقر القاسمي لبحوث السياسة العامة، المكلفة بدعم التنمية والتقدم في إمارة رأس الخيمة والإمارات العربية المتحدة بشكل عام



أعوام وحملة تمويل جماعي ناجحة، أصبحت "سفرة" شركة طعام ناجحة ومزدهرة لديها شاحنة طعام تمنح اللاجئات وسيلة لبناء الثقة بالنفس وتطوير المهارات وكسب الأرباح. وتدعم الفنان الآن مريم شعار وجمعية برنامج المرأة في تشغيل مركز لرعاية الأطفال في مخيم برج البراجنة، كي تمنح فرص توظيف لمزيد من النساء.

وتقول ميرنا عطا الله: "ندعم حالياً 18 استثماراً من بينها 11 مبادرة تقودها النساء. ومن الجوانب التي نهتم بها في شراكاتنا وجود رئيس تنفيذي يستحق الدعم، وقد وجدنا أن المرأة تمتاز بالعزيمة والإصرار على تحقيق النجاح لمبادراتهن، مهما كانت العوائق التي تقف في طريقهن. كما تشير بياناتنا إلى معدل يقارب 100 بالمئة لإعادة تسديد القروض الصغيرة التي تمنح للنساء".

تحمل هذه الاستثمارات قيمة مضافة. فمن خلال التمويل والتدريب الإداري والمنافع التي تُقدم للمستفيدين، تؤمن ميرنا عطا الله بأن مؤسسة الفنان تساعد النساء على تجاوز الحواجز الثقافية والاقتصادية. فتقول: "نحن نعمل لتمكين جيل جديد من قادة الأعمال، ممن يهتمون بالفعل بتغيير المجتمع إلى الأفضل. وهم قدوة للآخرين بأن الأعمال يمكن أن تكون خيرة ومستدامة".

"هدفنا هو مساعدة الإمارات على الوصول إلى أقصى قدراتها التنافسية"

يتطلب تغيير وضع التعليم للأفضل نهجاً متعدد الجوانب، حيث تقدّم المؤسسة خدمات من بينها دورات لتدريب المعلمين وبرامج تبادل ومنح لتحسين المدارس وفرص تعليم مباشر للشباب المعرضين لخطر الرسوب أو المحرومين، فضلاً عن تقديم المنح الدراسية للطلاب الموهوبين. وقد أكمل نحو 1,500 معلّم، يمثلون تقريباً نصف الكادر التعليمي للمدارس العامة في إمارة رأس الخيمة، دورة واحدة على الأقل من دورات التطوير المهني المجانية التي تستمر لمدة 10 أسابيع.

وتحدث ناتاشا عن ذلك قائلة: "نحن لا نخبر المدرسين بما يحتاجون إليه، بل نقدم لهم استبياناً في بداية كل عام لفهم الدورات التي يطلبونها ثم نستجيب لتلك الاحتياجات. كما أننا نعمل أيضاً مع وزارة التربية لدعم برامجها".

تعقد هذه الدورات خارج ساعات العمل، ويتم تتبع المعلمين المشاركين فيها لتقييم أثر مهاراتهم الجديدة في الفصول الدراسية. كما يتوافر الدعم من الأقران عبر شبكة مدرسية أنشأتها المؤسسة وتضم 1,520 معلماً. وتضيف ناتاشا: "لقد لمسنا تغييراً حقيقياً في نظرة المجتمع للمعلمين كمهنيين محترفين".

تعمل مؤسسة الشيخ سعود بن صقر القاسمي أيضاً للوصول إلى الفئات الضعيفة والمهددة، مثل الطلاب الذكور المهددين بالطرّد من المدرسة والشباب الجانحين من نزلاء المؤسسات العقابية، إذ شارك 124 سجيناً في دوراتها التنموية خلال العام الماضي. وفي مدرسة ثانوية محلية، نجحت تجربة لإعادة إشراك الذكور في التعلّم برفع معدلات الحضور إلى نحو 100 بالمئة، بعدما كانت سابقاً نحو 40 بالمئة فقط من المشاركين.

وتنفذ ناتاشا بقولها: "عدد من هؤلاء الفتيان كانوا على وشك الطرد النهائي من المدرسة، لكنهم أصبحوا الآن طلاباً مثاليين بعدما أدركوا الغاية من المدرسة والتعليم".

على مدى السنوات الماضية، توسّع نطاق تركيز المؤسسة إلى مخرجات اجتماعية أخرى غير التعليم، مثل الصحة العامة ومشاركة المجتمع والثقافة والفنون. وهي تستخدم البحوث أيضاً لاستكشاف الفجوات في البيئة الاجتماعية، ومعالجة القضايا الشائكة المحتملة، حيث بحثت في عدة مسائل مثل تأثير غياب الآباء العرب على النجاح الدراسي للأطفال، ومسائل أخرى قد تغفل المؤسسات الحكومية عن التدقيق فيها. وكانت تلك الورقة البحثية قد خلصت إلى وجود وفرة من الفرص للشباب الإماراتيين الموهوبين، في مقابل ندرة في البرامج التي تستهدف البيئة والشباب المهددين، وغياب شبه تام لبرامج تلبية الاحتياجات المتزايدة للمسنين في دولة الإمارات.

تقدم المؤسسة أيضاً منحاً لطلاب وطالبات الدكتوراه بشرط تنفيذ جزء من بحوثهم في إمارة رأس الخيمة

الاجتماعية. فعلى سبيل المثال، تتخذ ناتاشا موقفاً متشككاً إزاء الدور الذي يمكن أن يلعبه التمويل الخاص في تقديم مبادرات من أجل الصالح العام.

ونقول: "على الرغم من درابنا الواسعة بالتمويل الخيري للمشاريع الناشئة والاستثمارات ذات الأثر الاجتماعي، لكنني أعتقد بضرورة الحذر في التعامل معها وعدم نسيان أن الفرس تجرّ العربة وليس العكس".

وبينما يميل الغرب إلى تصوير النساء والفتيات في العالم العربي على أنهن يفتقرن إلى الفرص، فإن ناتاشا ريدج تتحدث عن شكل آخر من الانحياز الجنسي. ففي معظم أنحاء الشرق الأوسط، تتفوق الإناث على الذكور في جميع مستويات التعليم، من المرحلة الابتدائية إلى الدراسات العليا، لكن العديد من المؤسسات غير الربحية في المنطقة ما تزال تعاني في العنور على تمويل لمبادرات تستهدف تطوير الشباب الذكور المحرومين.

"من الرائع أن نرى المرأة تقود المؤسسات غير الربحية في المنطقة نحو تنفيذ برامج حقيقية. وقد ساعد ذلك بالفعل في تحفيز تمويل البرامج المتعلقة بتطوير المرأة وتمكينها. لكنني أحذر من التركيز بشكل مفرط على المرأة فقط، إذ يجب علينا أيضاً أن نفكر في كيفية تعزيز مشاركة الرجل في مثل هذه البرامج. فهذا من التحديات في هذه المنطقة، حيث نرى في كثير من الأحيان صورة سلبية عن الرجل، وخصوصاً من الخارج".

الشمولية هي من السمات التي تشترك فيها العديد من برامج المؤسسة، إذ تنظم مهرجانات سنوياً للفنون الجميلة، يُعد بمثابة معرض جماهيري للفنانين الصاعدين، فضلاً عن صالة عرض مجانية في مقر المؤسسة.

كما يتم تنظيم فعاليات شهرية متنوعة منها دروس في الطيران والتجديف بين أشجار القرم في رأس الخيمة للمقيمين، ما يساعد على تعزيز الروابط بين فئات المجتمع في بلد تتجاوز فيه نسبة الوافدين إلى المواطنين خمسة أضعاف. وتوضح ناتاشا أن "سمو الشيخ حاكم رأس الخيمة حريص على أن تكون الإمارة مجتمعاً متكاملًا يعترفها الناس بلدهم مهما كان أصلهم. ويتم تنظيم هذه الفعاليات كي تقرب الناس من بعضهم".

كما تحرص ناتاشا على توفير فرص تلاقح الأفكار بين عالم الأعمال التجارية والقطاع غير الربحي، من أجل تعزيز أثر القطاع الثالث والمساعدة في جذب مواهب جديدة إليه.

وتقول: "نحن نشجع التقاء القطاعين معاً لأن ذلك يؤدي إلى تحسين كل منهما. كما أننا نريد رؤية المزيد من النساء في الشركات التجارية والمزيد من الرجال في القطاع غير الربحي، لأن ذلك يحقق توازناً أفضل، ونحن بحاجة إلى عقلية شمولية في كلا المجالين".

أو دولة الإمارات. وقد ساعدت هذه الحلقة من إعادة الاستثمار على بناء ثروة من المعرفة في مواضيع متنوعة مثل سندات المشاريع ذات الأثر الاجتماعي والوقود الحيوي، في إمارة تغفل عنها عيون الباحثين الأجانب. وتقول ناتاشا: "هذه لحظة عن كيفية عمل مؤسسة القاسمي لتعظيم الأثر ودفع عجلة التنمية في الإمارة. فعندما حصلت على درجة الدكتوراه في العام 2007، كان من الصعب العثور على أي مقالات بحثية تتحدث عن التعليم في الإمارات العربية المتحدة. لكننا عملنا جاهدين لبناء قدرات الباحثين المحليين وتوليد مجموعة جيدة من الأبحاث".

هذا النموذج المستند على الأدلة يعني أيضاً أن المؤسسة تخرج أحياناً عن التفكير السائد في اتجاهات التنمية